ISSN:2583-2379
المجلد الثالث - العدد الأول مجلة البخاري للعربية والدراسات الإسلامية يناير – يونيو ٢٠٢٣

سوبرامانيا بهاراتي: شاعر العالم التاميلي

"Subramanya Bharathi": The World-Famous Tamil Poet

Dr. A. Jahir Husain
Associate Professor & Head,
Department of Arabic, Persian and Urdu,
University of Madras, Chennai, Tamilnadu.
Email: drjahir2008@gmail.com

الدكتور ذاكر حسين
الأستاذ المشارك ورئيس قسم اللغات العربية والأدرية والفارسية
جامعة مدراس، تشناي
تاملنادو، الهند.

Abstract

This paper tends to disclose the biography of a famous Tamil poet Subramanya Bharathi and his valuable contributions to the Tamil literature where he developed ideas on civilizing the society most specifically targeting the children and youth aiming to build an educated generation. One of his notable works is "odi vilayadu paapa" in which we can know about his talent and proficiency in Tamil language and his care and concern to bring up a civilized generation. His thoughts and ideas did not content in his state alone rather it spread around the world. He also had a political thought and care for the governance to make the people live in peace and prosperity.

Almost all his poems are based on thoughts that give peace and solution to the problems faced by the youths and children of the society, wherein he himself was a revolutionist who fought for the emancipation of women, against child marriage while he staunchly opposed the caste system and advocated reform of society. This research is a brief work and a small gift to the honorable readers.

Key words :
Subramanya Bharathi, Glory of the Tamil language, Tamil literary, Odi Vilaiyadu Pappa, Indian Nationalism.

ملخص البحث:

يحاول هذا البحث الكشف عن سيرة الشاعر التاميلي الشهير سوبرامانيا بهاراتي وعن بعض مساهماته العظيمة التي أثرت الأفكار الثورية في ثقافة أهل ولاية تاملنادو خاصة الأطفال والشباب. وقصيدة "أغنية الطفل" يظهر لنا موهبته وبراعته في أدب اللغة التاملية ورعايته واهتمامه في بناء جيل مثقف. وما تحددت أفكاره وقصائده لأهل ولايته فحسب بل شاعت إلى أنحاء العالم. ويقصد هذا البحث ليستظهر شخصيته أمام الناس لقلّة معرفتهم عن أناس مثله. يناقش بهارتي في أكثر قصائده عن أفكار صالحة للمجتمع حيث إنه بنفسه حارب من أجل تحرير المرأة، وضد زواج الأطفال، وعارض بشدة النظام الطبقي، ودعا إلى إصلاح المجتمع. فهذا البحث بالجملة عمل وجيزة وهدية صغيرة إلى القرّاء الكرام.

الكلمات المفتاحية: سوبرامانيا بهاراتي، الأدب التاميلي، القومية الهندية، امتنع عن الكذب طفلي

تقديم:

كان سوبرامانيا بهاراتي (١٨٨٢-١٩٢١) شاعرا تاميليا عظيما ومناضلا من أجل استقلال الوطن. وكان رائدا في الشعر التاميلي الحديث كما يعتبر أعظم الشخصيات الأدبية التاميلية في كل العصور. وكان يعرف بـ "مهاكافي" – الشاعر العظيم – لقصائده الرائعة.

تكمن هذا الشاعر مكانة فريدة برؤيته العالمية التي لا مثيل لها، فلم تتوقف كتابته على بلاده فقط بل امتدت لتشمل قصائد ممتازة ومقالات تثقيفية عن عدة دول مثل بورما وجزر فيجي وجنوب إفريقيا والصين واليابان وروسيا وفرنسا وإيطاليا وبلجيكا وإسبانيا وإنجلترا وأيرلندا والولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا وتركيا ومصر وأفغانستان وغيرها.

ولد بهارتي في ١١ ديسمبر ١٨٨٢ في قرية إتايابورام، من منطقة تيرونالفيلي، بولاية تاملنادو، الهند، لأبويه "شِنّا سامي أيار" و"لاكشمي أمّال". وسمياه بـ سوبراماني. ولقد فقد سوبراماني أمه وهو في الخامسة من عمره.

وتلقى تعليمه المبكر في كلية "الهند" بتيرونالفيلي. وبدأ كتابة القصائد في سنه السابعة. وفاز في مسابقة المناظرة التي شارك فيها ملك "إيتايابورام" وذلك حين بلغ الحادية عشرة من عمره. ولقّبه الملك بـ"بهاراتي" وأصبحت هذه لحظة لا تنسى في حياته.

وفي عام ١٨٩٧ تزوج بهاراتي في السن الرابعة عشرة من "شيلاما" التي كانت تبلغ من العمر سبع سنوات. وبعد وفاة والده في ١٨٩٨ ذهب بهاراتي إلى بيت عمته بـ"فاراناسي" وأكمل تعليمه الثانوي في جامعة فاراناسي وتعلم اللغة السنسكريتية والهندية. كان بهاراتي بارعًا في حوالي ١٤ لغة، بما في ذلك ٣ لغات أجنبية غير هندية.

وحينما عاد إلى إيتايابورام في ١٩٠٢ أصبح "شاعر البلاط" لبضع سنوات. وكان يعلّم اللغة التاملية في مدرسة "سيدوبادي" الثانوية بمدينة مَدوراي بولاية تاملنادو لثلاثة أشهر من أغسطس إلى نوفمبر ١٩٠٤م. وقضى بهاراتي عدة سنوات في مجال الصحافة؛ فانضم كمحرر مساعد في صحيفة يومية تاميلية "سوديسَ مِترَن" وذلك في نوفمبر ١٩٠٤م. وعمل كصحفي في عدد من الصحف بما في ذلك *الهند* و*بالا باهاراتا* وكَرما يوغي وسُورِيُودَيَم.

وقد كتب بهاراتي عن مواضيع متنوعة مثل القومية الهندية ومجد اللغة التاميلية والحب والأخوة والفلسفة والأطفال والمرأة والطبيعة وغيرها.

ومن أروع قصائده عن الأطفال قصيدته "أغنية الطفل" والتي تحمل معاني جميلة ونصائح قيمة. وأنقل هنا بعض الأبيات:

اركض والعب طفلي!

ولا تتكاسل طفلي!

العب مع الآخرين طفلي!

ولا تشتم أي طفل طفلي!

مثل طائر صغير

انطلق وحلق طفلي!

شاهد الطيور الملونة بقوس قزح

وكن سعيدا مثلهم طفلي!

يتمايل ديك الأدغال ويلتقط بمنقاره ويأكل،

شاركه والعب معه طفلي!

يسرق الغراب طعامه بانقضاضة واحدة،

كن لطيفا معه طفلي!

تهب البقرةُ الحليب طفلي!

اعلم أنها خيّرة طفلي!

يأتي الكلب هازًّا ذيله،

اعلم أنه صديق للإنسان طفلي!

الحصان الطيب الذي يسحب العربة،

الثور الذي يحرث حقول القرية،

العنزة التي تعتمد علينا؛

اعتنِ بها كلها طفلي!

استيقظ عند الفجر لتتعلم دروسك،

ثم غنِّ الأنغام اللطيفة،

واجعل المساء كله للعب،

تعوّد على ذلك طفلي!

امتنع عن الكذب طفلي!

وتجنب النميمة طفلي!

الرب عوننا طفلي!

لن يحيط بنا الشر أبدا طفلي!

عندما تلتقي الأشرار

لا تخف أبداً طفلي!

اضربهم واركلهم طفلي!

وابصق على وجوههم طفلي!

وقد ألف بهاراتي عدة قصائد مؤثرة عن حرية المرأة ومنها قصيدة رقصة "الكومي" لحرية المرأة حيث يقول:

رحل أولئك الذين قالوا للمرأة:

"لن تفتحي كتاب المعرفة"

والغرباء الذين تباهوا بقولهم:

"سوف نحبس هؤلاء النساء في بيوتنا"

اليوم يخفضون رؤوسهم خجلاً.

الناس الذين روضوا البقرة بالضرب وقيدوها في بيتها

أتوا إلينا لكي يقيدونا في بيوتنا

لكننا حيرناهم بازدراء

ارقص رقصة "الكومي"، ودق نغمتها.

الكلب الذي يبيعونه بثمن، ولا يستشيرون إرادته أبدًا،

قريبًا من حاله جعلونا – يا ليت أنهم قتلونا!

لكن العار تملّك منكم

ارقص رقصة "الكومي"، ودق نغمتها.

ويتحدثون عن إخلاص الزوجين،

فليكن ملزمًا لكليهما؛

لكن العادة التي أجبرت المرأة على الزواج

رميناها ووطأناها تحت أقدامنا

ارقص رقصة "الكومي"، ودق نغمتها.

نقوم بالعمل على ارتقاء المرأة في العالم

في نيلها الدرجات وتوليها الحكومات

ولن يقال إن المرأة متخلفة

عن ركب الرجل في كسب العلم

ارقص رقصة "الكومي" ، ودق نغمتها.

وحارب بهاراتي من أجل ترقية طبقة "الداليت" المنبوذة والمسلمين وحارب ضد النظام الطبقي في المجتمع الهندوسي. وتضمنت أعماله العديدة الأغاني النارية التي أشعلت حب الوطن خلال حركة الاستقلال الهندية. وأنشد:

لقد رأيت شرارة من النار،

ووضعتها في حفرة غابة

فاحترقت الغابة ودُمّرت ثم خمدت.

فهل يوجد فرق بين شرارة النار وهائلتها في الشجاعة؟

ولم يغن أو يكتب أحد من قبله أو من بعده بأي لغة عن صراعات وأزمات ومحن الناس في جميع أنحاء العالم حتى في فجر القرن الماضي وعلى الرغم من عيشه في ظلال ظروف معادية من الفقر المدقع في الزاوية الجنوبية لبلد تحت حكم سيادة أجنبية، وبالإضافة إلى كتابة قصائد ومقالات نارية تتصدر قضية النضال من أجل الحرية لبلده. فقد كتب على نطاق واسع عن العديد من الأحداث المهمة التي كانت تحدث في بلدان أخرى أيضًا.

وفي عام ١٩٠٦م كتب مقالاً عن الهجوم الإرهابي بإلقاء قنبلة على موكب زفاف ألفونسو الثالث عشر، ملك إسبانيا حينذاك. وكتب مقالاً عن مصطفى كمال باشا وأفكاره الثورية من قبل أن يصبح هو رئيس تركيا كما كتب عن تمرد التونغو ببورما.

وفي عام ١٩٠٨م صوَّر في بيت شعر عَهد "مازيني" ورفاقه أبناء "إيطاليا الشابة" وهي منظمة ثورية. وفي عام ١٩١٥م كتب قصيدة رائعة امتدح فيها بلجيكا على شجاعتها وعزيمتها الأخلاقية رغم هزيمتها في معركة "فلاندرز".

وفي عام ١٩١٧م كتب بيته الخالد الذي لم يسبق له مثيل في تاريخ الأدب والذي أشاد بالثورة في روسيا. كما كتب أغنية جياشة العاطفة عن الحالة المزرية للعاملات في حقول قصب السكر في جزر فيجي، وكتب عن شعراء لغات أخرى مثل "شيلي" و"إليوت" وحتى عن قصائد الهايكو اليابانية.

وكتب بهاراتي عن محاضر جلسات البرلمان الروسي والبريطاني، وعن إصلاحات السجون في الولايات المتحدة الأمريكية، وعن أمير أفغانستان، وعن حالة الفتيات الصغيرات في الصين، وعن الفصل العنصري في "ترانسوال" في جنوب أفريقيا، وغيرها الكثير.

ولم يكتب أي شاعر آخر بهذه الغزارة عن الأحداث التي وقعت خارج حدود بلاده، فغنى بهاراتي بكل فخر: "الغربان والعصافير قبيلتنا والمحيطات والجبال أقرباؤنا".

وقال في قصيدة أخرى:

"أجرؤ على الإفصاح بما لم يتم الحديث عنه من قبل.

اطلب العطية التي لم يطلبها أحدٌ من قبل."

"سوف يأمر الرب الأعظم جميع الكائنات في العالم،

بما في ذلك الطيور والحيوانات والحشرات

وأوراق العشب والجذور والأشجار،

أن تكون سعيدة وأن تعيش بألفة ووئام."

الخاتمة:

حياة بهاراتي كانت قصيرة، فقد توفي في ١١ سبتمبر ١٩٢١م عن عمر ناهز ٣٩ عاماً. وقد كتب خلال حياته القصيرة مئات القصائد وبعض الملاحم الشعرية التي تتصف بالحماسة الوطنية. فحاز الاحترام عن جدارة كشاعر الهند الوطني ورمز الوحدة الثقافية والأخوة العالمية. واحتفلت الهند بالذكرى المئوية لوفاة الشاعر العظيم بهاراتي للاعتراف عالميًا بالمساهمات الكبيرة التي قدمها لأجل صياغة ودعم الوحدة الثقافية ومبدأ التعايش السلمي العالمي. ولا يُحتفل بالشاعر بهاراتي باعتباره الشاعر الوطني للهند فحسب لكنه لا يزال يعيش في صفحات التاريخ باعتباره الشاعر العالمي.

المراجع والمصادر:

1. "بهاراتيار كافيتايكض"، الترتيب والنشر: "سيني فيسوفانادان"
2. "بهاراتيار كافيتايكض"، الترتيب: "راجا سيكاران"، النشر: دار سيتاي للنشر والتوزيع
3. "بهاراتي كافيتايكض"، الترتيب: باضا آتيامان، النشر: كالا شوفادو
4. "بهاراتيار كتاي كضنجيم"، الترتيب: الدكتور نالي كوبوسامي سيتِيار
5. "بهاراتيار فيرنتو" الترتيب: مولاي بي يل موتايا
6. Poems of Subramania Bharati, Prema Nanadakumar

*****